تقديم

يتمحور ملف العدد الرابع عشر من مجلة أسيناگ حول "التناقل"، حيث لاتوجد ثقافة دون تناقل ودون تحوّل. فالناس يميلون إلى التناقل حفاظا على معيشهم، ومعتقدهم وتفكيرهم وحمايةً لكل ذلك من الزوال بزوالهم. وتُتناقل العناصر التي تعتبر ضرورية لتنظيم البنيات المجتمعية وسيرورتها، ذلك أن ممارَسة التناقل تنظم الحياة الاجتماعية، كما ترسي هذه السيرورة أُسّ استدامة المجتمع وإعادةِ إنتاجه.

ويوجد التناقل الثقافي في المغرب اليوم، أكثر من أي وقت مضى، في ملتقى الطرق بين الاستمرارية والتغيير. وهو ما يدعو، في حالة الثقافة الأمازيغية، إلى التساؤل حول وَقْع التحولات الاجتماعية على الأنماط المعتادة للتناقل الأفقي، والعموديّ بوجه خاصّ.

يحظى التناقل العمودي بأهمية قُصوى في الأوساط الأمازيغية التقليدية؛ حيث إن من المهام الأساسية للنّاقِل، باعتباره إما من الأصول أو أي راشدٍ عاقل، إدراج المتلقّي، وهو من الفروع أو أيّ يافع، ضمن مجموعة انتمائه أو مرجعيته: العائلة، الفخذة، إلخ .

ويندرج التلقي في باب مجريات حياة الأجيال الصاعدة، حيث يقوم بناء الهوية الثقافية على إوَاليَات تكوين عريقة، ويتمحور حول عمليَتَي اكتساب وتناقل العناصر الضروريّة للعيش الجماعي، وهي اللغة، والسلوكات، والعادات والتقاليد، والأساطير، والطقوس، والمعارف، والمهارات، والقيم، إلخ. إذ تُتناقل أغلب هذه العناصر وسط الأسرة، عن طريق الوالديْن والجدّين.

وتحتل المرأة الأمازيغية، بوصفها راعية للتقاليد الموروثة، مكانة ذات أهمية قصوى في مجال التناقل الثقافي. إذ في كنَف الأمّ، يكتسب الطفل لغتَه الأولى. وطوال القرون ومع تعاقب الألفيات، ما فتئت الأمهات ينقلن، من جيل لآخر، مهاراتٍ ومعارفَ ذات أبعادَ كونيّة. ويشهد على ذلك، من بين العديد من النماذج، فنّ نسج الزربية: موضوع استعمال نفعي يوميّ، كان ولا يفتأ مصدر إلهام قرائح الكثير من مشاهير الفنانين المبدعين على الصعيد

العالمي، من أمريكيين وأوروبيين، ولا سيما منهم رسامو الفن التجريدي. وهذا التميّز يقتضي أن يفرد لهذا الفن ما يستحق من إضاءات لإجلاء دوره في مجال التناقل.

بيد أنه لابد من الإشارة إلى أن نمط التناقل بالوسط الأمازيغي على النحو السالفِ وصفُه، بات في ذمّة التّضاؤل والانحسار. ومرد ذلك إلى الإصلاحات الهيكلية التي أُدْخِلت على المنظومة المجتمعية المغربية، خلال القرن الماضي، قبل حقبة الاستعمار وبعدها، والتي تولّدت عنها تغيّرات وازنة. ويعتبر التعليم العصري نموذجا صارخا على ذلك ؛ فالمدرسة تغرس في الطفل أسلوب تفكير مختلف عن السائد في وسطه الأُسري والعائلي، وتجعله ينحو إلى الخروج من إطار ذاكرة الأسلاف.

وفضلا عن ذلك، يبيح المتمدرس لنفسه، في كثير من الأحيان، تصحيح ما ترسخ عند والديه (الأميين أو غير المتعلمين) من مفاهيم أسطورية حول حقيقة تاريخية أو ظاهرة طبيعية، وقد يصل به الأمر إلى حدّ انتقاد أو شجب ممارساتهما ومعتقداتهما؛ إنه يتصرف متأثراً بمدرِّسه الذي أصبح منافسا للناقل التقليدي في تمرير بعض المعارف وأنماط التفكير والوجود والتفاعل. ومع ظهور المجتمع المدني وتناميه من جهة، واتساع نطاق استعمال التكنولوجيات الحديثة للاتصال من جهة أخرى، لم يعُد نقل العلم والمعارف حكراً على أداء المعلّم بمفهومه التقليدي، إذ أصبح ينافسه في ذلك، بل يتجاوَزُه، صغارُ الراشدين بل حتى المراهقون.

فهل يعني هذا قلب الأدوار ما بين الناقل والمتلقّي؟ ثم كيف يتم التناقل الثقافي في وضعيات التحولات المجتمعية؟ وهل هناك، في هذا السياق، خلل في ممارسات التناقل، أم أن هذه الأخيرة تتكيّف مع الوضع وتتلاءم معه؟ وأي نوع من العلاقة يوجد بين تحول المجتمع وبين اختلال أو تكيّف أنماط التناقل؟

هذه بعض الأسئلة التي تحاول المساهمات الواردة في الملف الموضوعاتي لهذا العدد الإجابة عنها، مسلطة ضوءاً جديداً على الديناميات التي تؤثر بدرجات متفاوتة في مختلف قنوات وأنماط التناقل الثقافي، ويتعلق الأمر بسبع مقالات، خمسة باللغة الفرنسية، واثنتان باللغة العربية، فضلا عن حوار.

يبين مقال رشيد أكرور والخطير أبو القاسم، كيف أصبحت المدرسة القرآنية، في الجنوب الغربي المغربي، باعتبارها مكانا للتعبد والتربية، تقوم مقام مؤسسة لصيانة وتناقل المعرفة العالمة،

خاصة تلك المعرفة التي يمتلكها المتعلمون الذين يؤدون وظيفة الموثق، ويتقمصون دور الحَكَمَ في حل النزاعات المحلية.

واهتمت فاطمة الزهراء بنخلوق في مقالها بالتناقل اللغوي والطقوسي، متناولة إياه من خلال ممارسة محلية ذات بعد عالمي، ويتعلق الأمر بنسج الزربية الأمازيغية في الأطلس المتوسط، خاصة عند قبائل آيت سخمان. وتعرف الأستاذة بنخلوق هذه الممارسة باعتبارها، لحظة إبداع بامتياز، حيث تكتسب المتلقية (المتعلمة) هذه الخبرة تدريجياً من خلال الملاحظة والاستماع والتقليد.

أما كامل بوعمارة، فيناقش في مساهمته التي خصصها للانتقال إلى الكتابة بالأمازيغية القبايلية ، ثلاث تجارب كتابية تعتمد ثلاثة أنظمة خطية: تفيناغ ، والحرف العربي والحرف اللاتيني أو اليوناني- اللاتيني. ويؤكد الكاتب،أن هذه التجارب لديها، من الناحية التقعيدية، سيرورات من مستويات مختلفة. باعتماد تفيناغ والخط العربي، توقفت التجارب عند المرحلة الأولى من التقعيدية؛ وبتوظيف الحرف اللاتيني أو اليوناني- اللاتيني، تمكن تقعيد اللغة الأمازيغية القبايلية من بلوغ مراحل إنتاج الأنحاء والمعاجم والأدوات أحادية اللغة (النحو والمعاجم). وهو ما جعل بوعمارة يخلص إلى أن لغة القبايل مقعدة.

ويبحث محمد أوبنعل في مسألة القطيعة والتناقل في الأمازيغية بالوسط الحضري غير الناطق بها، خاصة في الدار البيضاء، التي يعتبرها الكاتب أكبر مدينة أمازيغية في المغرب، بالنظر إلى عدد مستعملي اللغة الأمازيغية -تاشلحيت (332337 متكلما، من أصل 3343642، بنسبة 9,93 %، حسب إحصاء سنة 2014). ومن أجل شرح أسباب هذا الواقع المتناقض بين القطيعة والتناقل، استقى الباحث معلوماته من مصدرين معروفين في مجال البحث السوسيولوجي: البيانات الإحصائية الرسمية (إحصائي 2004 و 2014) والبيانات التجريبية (مقابلات شفوية مباشرة).

وأكد مبارك ونعيم استنادا إلى بيانات ميدانية، أن نظام تناقل التاريخ المحلي يشتغل بشكل جيد رغم الصعوبات المتعلقة بوضع هذا الإرث الفكري ضمن الذاكرة الوطنية. ويشهد محتوى المعلومات التي جُمعت أن المستجوبين على دراية بالحقائق المضطربة لتاريخهم المحلي. حيث مكن البعض منهم باكتشاف قصائد شعرية مليئة بمعلومات ومعطيات تاريخية عن ويجَّان، على سبيل المثال، في الفترة التي كانت فيها هذه المنطقة مسرحا لمعارك عنيفة خلال العقد الثاني من القرن العشرين.

أما الشق ا المحرر بالعربية من هذا الملف الموضوعاتي فقد افتُتح بمقال صباح علّاش الذي تناولت فيه تناقل الحرف النسائية التقليدية (النسيج والفخار...) في الريف (شمال المغرب)، من الأم إلى الابنة ومن جيل لآخر. حيث ذهبت الكاتبة إلى أن هذه المهارات المحلية مهددة اليوم بالعولمة والتصنيع، مؤكدة على ضرورة تسليط الضوء على الخطر الوشيك الذي يحدق بتناقلها وذلك حمايةً وتثمينا لها .

وتقدم مقالة أحمد المنادي التناقل باعتباره آلية قمينة بضمان ديمومة الأشكال التعبيرية والأجناس الأدبية، أي نقلها من جيل لآخر. ويوضح، من ثَمّ، وعي الأمازيغ بأهمية الأشكال التعبيرية الفنية في مجال التناقل، سواء في مستواه الأفقي أو العمودي، وبإنتاج رموز وقيم المجتمع، حيث يصبح الشعر أو الأغنية قناة لتناقل المعرفة الدينية والتاريخية والتعليمية...

وفضلا عن المقالات، يتضمن الملف الموضوعاتي، حواراً باللغة الفرنسية مع الأنثروبولوجي المغربي حسن رشيق، تمحور حول خمس نقاط ذات صلة بالموضوع: وسائل وقنوات تناقل التقنيات ومعارف الفعل في مجالات البناء والإنتاج: الهندسة المعمارية والمجوهرات والفخار والسجاد...؛ وتناقل القيم والمعتقدات والتمثلات الجماعية؛ ودور (أو أدوار) ووظيفة (أو وظائف) النساء في مجالات التناقل الثقافي؛ وأنماط ورهانات تناقل التقاليد الشفهية بين الأجيال؛ وآثار التغيرات الاجتماعية في أنماط التناقل: الاختلال والتكييف والاستيعاب وبروز أنماط أخرى...

أما باب "متنوعات"، فيحتوى على أربع مقالات، اثنتان باللغة الفرنسية، وواحدة باللغة الإنجليزية، وأخرى باللغة العربية. عالج المقال الأول لنورة گيليان مسألة "لْجْماَعْتْ" (الأمناء) التي تشتغل على المستوى المحلي بالتوازي وبالتعاون مع مصالح الدولة. وبيَّن، من خلال دراسة نوعية، كيف تتعامل هذه المؤسسة التقليدية ذات التوجه العلماني مع تطبيق العرف في تشييد المباني في وادي مزاب (الجزائر)، وتسهر على تناقله من جيل إلى جيل، وعلى تطويره بمرور الزمن وتكييفه مع المشاكل المستجدة.

ويقدم رودولف دي سيليا عرض- حال لوضعية التعدد اللغوي في النمسا مسلطا الضوء على السياسة اللغوية المتبعة. فيعرض في مرحلة أولى الحالة اللغوية في هذا البلد (اللغات المستعملة، والمعطيات الإحصائية ووضع اللغات المعنية)، ويقف عند الإطار التشريعي والسياسة (أو السياسات) اللغوية المتعلقة بلغة الدولة (الألمانية). ويقدم، في مرحلة ثانية، الأقليات الأصلية المعترف بها رسميا في النمسا، فالأقليات الجديدة، ثم تعليم اللغات الأجنبية

في المدارس. وللكشف عن وضعية اللغات المهمشة المعترف بها من قبل الدولة، يعطي دي سيليا مثال كرواتية بورغنلاند، نظرا لكونها أفضل توثيقا من الناحية السوسيولسانية.

وسعى خالد عنسار في مساهمته المكتوبة باللغة الإنجليزية إلى تقييم العمل المصطلحي الذي يقوم به المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية. وطرح في هذا الإطار، إحدى الإشكالات الشائكة التي تواجه اللغة الأمازيغية، والتي تتجلى في "مقاومة المستعملين للمصطلحات الأمازيغية المعيار". وقد استعان الباحث لكشف النقاب عن هذه الظاهرة بالأدبيات الخاصة بالتخطيط المصطلحي وتأصيل المصطلحات، بصفة عامة، وبمقاربة بريثناتش Bhreathnach، بصفة خاصة.

أما عبد اللطيف الركّيگ، فقد رام في مقاله المحرَّر باللغة العربية الكشف عن مساهمة المعطيات التي توفرها العلوم الإنسانية، وخاصة التاريخ وعلم الآثار أو الأركيولوجيا، في سيرورة التنمية المستدامة في بلدان شمال إفريقيا، وتحديدا بالمغرب وتونس، و ذلك من أجل تحقيق هدف ثلاثي الأبعاد: تثمين التراث الوطني، والحفاظ على الخصوصيات الثقافية والتراث الحضاري، ثم الانفتاح على ثقافات العالم في إطار علاقات مثاقفة سليمة.

ويتضمن القسم الخاص بالعروض نصين باللغة العربية. الأول لحميد هيمة، حول كتاب عبد العزيز الطاهري: **الذاكرة بين التاريخ الأكاديمي والتأليف المدرسي** (2016). والثاني، لعلي بن الطالب، حول كتاب عبد الرحمن المزواري الگلاوي، الذي يحمل عنوان: *Le grand Vizir, Madani El Mezouari El Glaoui* (2017).

وشمل باب ملخصات الأطاريح، الذي يرمي إلى التعريف بالأعمال الجامعية ذات الصلة باللغة والثقافة الأمازيغيتين، ملخصين لأطروحتي الدكتوراه. الأول باللغة الإنجليزية، لأطروحة ناقشتها الباحثة فاطمة الحمدي في اللسانيات (الرباط، 2018) حول:

On Tashlhit Root Structure And Its Implications For The Organization Of The Lexicon;

والثاني، باللغة الفرنسية، لأطروحة نوقشت في علم الاجتماع (الرباط، 2018)، للباحثة فاطمة الزهراء أوفارة، بعنوان:

Communication touristique et développement local dans la province de Taroudant : cas du festival du Safran de Taliouine.

وتتقدم إدارة مجلة أسيناك وهيئة تحريرها بالشكر الوافر لكل من ساهم في إعداد هذا العدد: الخطير أبو القاسم، ومحند أكلي صالحي، ومحمد أوبنعل، ومحمد آيت حمزة، وفاضمة آيت موس، وعبد القادر بزازي، وعلي بن الطالب، وكريم بن سوكاس، وسعيد بنيس، وعائشة بوحجر، ومولاي هاشم جرموني، ومحمد الخطابي، ومحمد خليل، وأحمد سكونتي، وسعاد عزيزي، وعبد الحق قريبي، والحسين المجاهد، وخديجة محسن، ونجاة النرسي، وبنعيسى يشو، ومحمد يعو.

أسيناگ-ⴰⵙⵉⵏⴰⴳ